مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 08 عدد: 05 السنة: 2019
ص: 155 - 167 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

ديداكتيك النص المسموع من التلقي إلى الإنتاج المعاود. مقاربة ديداكتيكية تداولية

Didactics of Audio TextfromReception to Production Didactic and Alternative Approach

[*] أ.درقاوي كلتوم

Derkaoui Keltoum

االمشرف: الدكتور **مفلاح بن عبد الله.**

المركز الجامعي أحمد زبانة – غليزان – الجزائر

University center of ghilizane/ Algeria

تاريخ الإرسال:2019/03/07	تاريخ القبول:: 2019/09/18	تاريخ النشر: 2019/12/01

ملخص البحث

يتطلع تعليم النص في ميدان ديداكتيكا اللغات على أن يكون فاتحة ممارسات لغوية وداكتيكية متنوعة غير متناهية الغايات والمآرب كونه وحدة جامعة لمختلف أنشطة اللغة والأنموذج الأمثل لتعليم اللغة نطقا وكتابة نحوا وأسلوبا ،غير أن التناول الحالي لهذا النشاط الهام ضمن مناهج التعليم الآنية يفوّت الكثير على التلميذ خصوصا وأن الكفايات العامة والغايات المسطرة في درس العربية ترتبط بطريقة عرضه وتدريسه.

عود على بدء لا شك في أن نظرة عجلى لآليات إقراء النص الأدبي التعليمي اليوم تنبئنا بتغليب البعد الشكليّ المنمط الافتراضي على التّداولي الاستعمالي،والمكتوب على المنطوق بكلّ ما تطرحه القضيّة من مشاكل مفاهيميّة اصطلاحية جافة وهياكل مخصوصة قوامها أجهزة قرائية منمطة وما يتبعها من تقديم المكتوب على المنطوق الذي يقتضي تلقين الشروحات البلاغية واجترار المكتوب مما يؤدي إلى قصر الفهم ويعرقل التعديل الفوري والتغذية الراجعة في أوانها والوقوف على الكفايات المكتسبة تواصلا شفاهة وكتابة.

الكلمات المفتاحية:تعليمية، النص المسموع، تداولية، معاودة إنتاجية .

Abstract :

The text as a support in the field of language didactics is considered as an opening to infinite diverse linguistic and didactic practices in terms of

[*] درقاوي كلثوم :derkaouirelizane48@gmail.com

expected objectives, it scharacter which bring stoget her different language activities, thus, it is considered as the best tool for teaching oral and written language, stylistics and grammar. Nevertheless, the current system marginalizes the latter, despite its usefulness for learners, in particular, the objectives of the Arabic course related to the presentation method and the teaching of this activity precisely. The mechanisms of analyzing literary texts inform us that the usual use is no longer appreciated such as the formalist model, and the written word is more formal than the oral, which requires a mastery of rhetorical explanations and the rumination of the written, the fact which leads to a shortage in understanding and hinders the immediate modification.

Keywords: Text, Didactics, Audio, Text, Alternative, Production.

مقدمة:

لاشك في أن أقصى ما يروم إليه القائمون على بناء مناهج اللغة العربية في مختلف الأطوار والطور الثانوي بوجه خاص هو أن يتمكن المتعلم من إنتاج أصناف عديدة من النصوص، والحديث عن عملية الإنتاج ها هنا تستوجب بالضرورة الوقوف على الآليات والاستراتيجيات الديداكتيكية التي لا بد منها من أجل الأخذ بيد التلميذ لتحقيق الكفاءات في المجالين الشفوي والكتابي ،وتبعا لهذا فقد بات من الضروري التنويع في ضروب النصوص وصيغها من حيث كونها مدونة كلامية منطوقة أو مكتوبة لتحقيق كفايات جديدة أو تعزيز أخرى ،والتحرر من قيود النصوص المكتوبة والعمل على تعزيز الكفاية الخطابية بالموازاة مع الكفاية النصية وتجاوز اجترار النصوص المكتوبة التي لا تتجاوز عملية إقراؤها شروحا بلاغية تقف على تشخيص معارف التلميذ لا توظيفها في مقام تواصلي دال يستوجب الربط وإعادة الإنتاج أو معاودة الإنتاج النصوصي .

وبناء على ما سبق أصبح لزاما علينا ابتداع أنساق تعليمية جديدة بالاسترفاد من النظريات اللسانية الحديثة واستثمارها استثمارا ممنهجا يفضي إلى تحقق الأهداف والكفاءات اللغوية والخطابية، وتعد التداولية من أبرز النظريات التي ارتكزت عليها المقاربات التعليمية في تنمية الكفايات التواصلية والإنتاجية، ويأتي هذا البحث للوقوف على استثمارات مباحثها في ابتداع انساق تعليمية جديدة لتعليم النص المسموع باعتباره أداة فاعلة في تنمية الكفاية الخطابية والنصية للمتعلم لتتحوّل حصة النصوص الأدبية إلى ورشة تعليمية للمعاودة الإنتاجية بعد فعل التلقي السليم وفق آليات الدرس التداولي الحديث فما هي الآليات البيداغوجية لتعليم النص المسموع ؟

كيف يغدو النص المسموع منطلقا لتعزيز الكتابة ومسارتها ؟ كيف يمكن لنص المسموع من تنمية كفايات معاودة الإنتاج النصي المنطوق والمكتوب ؟ كيف أسهمت اللسانيات التداولية في تعليم النص الأدبي المسموع بشكل خاص؟

أثر المقاربات التداولية في ديداكتيكا اللغات:

من المعروف أن دراسة اللغة بمعزل عن السياق لا تفضي لأي نتيجة في إطار التفاعل والتواصل الناجح المزمع تحقيقه في كل خطاب إنساني، فكان لابد من التخلي عن دراسة مستويات اللغة كل على حدى.

إذ لا جدوى من استعمال التراكيب بمعزل عن الدلالة، بيد أن دراسة هذين المستويين هي الأخرى لم تعط ثمارها في تحقيق الهدف المنشود فكان من الضروري إنتاج خطابات ذات صحة دلالية واحدة يحكمها المنطق الوضعي القائم على الصدق أو الكذب[1] ذلك أنه في معظم الأحيان يعمد المتكلم إلى استعمال الإخبار لغرض الإنشاء، وعلى إثر هذا"توجه اهتمام الدارسين إلى العناية بكل القضايا المتعلقة بالكيفية التي تستعمل بها اللغة بالفعل وتتحقق بها عند الاستعمال والتخاطب، وتندرج هذه القضايا في إطار تيار من الدراسات والنظريات التي تسمى عند أهل الاختصاص بالتداولية "[2].

ولا شك في أن هذا العلم الجديد واسع ومتشعب جاء على غرار المناهج التقليدية القديمة ليجيب عن الأسئلة التي عجزت عن الإجابة عنها النظريات البنيوية التي أظهرت قصورها في قضايا اللغة والاستعمال، وقد ذهب"فندوليش" Funk kolleg في كتابه إلى رسم معالم وحدود البحث اللساني التداولي في مجموعة من الأسئلة " كيف نربط علاقة مع الأشخاص الآخرين بواسطة القول؟ وكيف نسهر على بقاء علاقات موجودة سلفا؟ كيف يمكننا التأثير على نشاط وأداء الآخرين؟ إلى أي مدى يمكن اعتبار التلفظات اللغوية كيفيات خاصة للعمل؟ ماهي الشروط الخليقة بجعل عمل ما يخفق أو ينجح؟ كيف تتم الإحالة داخل التلفظات على سياق النشاط أو المقام وكذا على واقع العالم(الطبيعة) والمجتمع وسيرورة العمل الذي يتم نقله بواسطة التقاليد والتربية والخبرة "[3]ويبدو أنه هذه المباحث تجسدت اليوم في مجالات اللسانيات التداولية ومباحثها بدءا بالاهتمام بظروف إنتاج الملفوظ إلى الحال التي تجعل منه حدثا كلاميا يفعل في

المتلقي ويؤثر فيه وجل الظروف والمقامات والملابسات واستراتيجيات الخطاب التي تؤدي بطرفيه هذا الأخير إلى تحقيق تواصل ناجح .

وأمام ثراء طروحات هذا العلم الغزير وتعدد اتجاهاته وحدوده راح الباحثون في ميادين العلوم المختلفة ينهلون من طروحاته وما يقدمه، خاصة وأنه علم متداخل الاختصاصات يستبيح لنفسه أن يتقاطع مع شتى ميادين التي تكون اللغة موضوعا له، ولم يكن حقل الديداكتيك هو الآخر بمعزل عن هذا التلاقح المعرفي والمنهجي خاصة وأن هذا الوافد الجديد يتقاطع موضوع اشتغاله إلى حد بعيد مع ما يميز الخطابات الديداكتيكية من خصوصيات.

فالتداولية إذا تهتم بدراسة اللغة وفق لمنط استعمالي في إطار محيطها اللساني" باعتبارها كلاما محددا صادر عن متكلم محدد موجه إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد[4] وهذا ما يميز الخطاب الديداكتيكي الذي يمتاز بالخصوصية من جهة الانتقاء وآليات النقل والإبلاغ كما أنه مخصوص بفضاء خاص لمتلق خاص متميز بمحدودية كفايات التلقي والاستعمال وفي مقام مخصوص ولغرض مخصوص.

عود على بدء إن ارتكاز الدرس التداولي على الاهتمام بالجانب الأدائي الممارساتي، يجعله ينحو نحو التوسل في مباحثه بالأدوات اللسانية المؤجرأة للخدمة ديداكتيكا، خاصة في مجال اللغات، وهو الأمر الذي جعلها في السنوات الأخيرة تتجه صوب التركيز على الكفايات التبليغية والتواصلية في تعليم اللغة وقد أخذت حسب **أبوا** Abbou تعنى بالمتعلم ومقام التعليم إذ أضحى الشعار الوحيد الذي يشغل أهل هذا الاختصاص وهو الملكة والتبليغ أي تزويد المتعلم أو المتعلمين بالأدوات التي تمكنهم من التحرك بواسطة الكلام تحركا يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها ذلك أن الأمر لم يعد يتعلق بتلقين بنية نحوية معينة بل إنه يتعلق بتوفير الوسائل اللسانية التي تسمح للمتعلم بإجراء اختيار بين مختلف الأقوال وذلك بحسب المقام[5]،ذلك أن تعليمية اللغات اليوم لا ترتكز على تعليم المتعلم اللغة كما هي في المتون والكتب دونما اهتمام بقدرة المتعلم على تحويل هذه المفهومات إلى مقروءات أو منتج شفوي صريح ينصّ على مواضع إجادته للغة وإخفاقه مما يسمح بالتغذية الراجعة الفورية والآنية وعلى إثر هذا بات لازما الاسترفاد من أطروحات الدرس التداولي في تعليمية اللغات على غرار استثمار نظرية الفعل الكلامي في تنمية قدرة التلميذ على إنتاج خطابات ونصوص منسجمة تتوافق مع المقام وما يقصد واستعمال

صنوف وأساليب الصريحة في المواضع التي تستوجب ذلك وتضمين كلامه في مواطن التضمين على النحو الذي يضمن إبلاغ رسالته .

1- في مفهوم النص[6] المسموع

حظي مفهوم النص في الدراسات اللغوية باهتمام كبير من الباحثين والدارسين خصوصا في السنوات الأخيرة، ومع تغير قبلة البحث اللغوي صوب النص والخطاب بوصفه ممثلا شرعيا عن الجملة وبعده أكبر وحدة للتخاطب والاستعمال اليومي، وعلى أثر هذا قوي الاهتمام به وراحت كل المدارس اللسانية واللغوية تجتهد لتقديم مفهوم شامل له فتعددت تعريفاته من فرع إلى آخر وأصبح مشكلة تحديد المفهوم عائقا يؤرق الكثير من الباحثين خصوصا وأنه يشكل الموضوع الأساس الذي تشتغل عليه جلُّ فروع اللسانيات الحديثة على غرار الدرس اللساني النصي والدرس التداولي وكل المجالات التي تسترفد من حقل اللسانيات الخصب، ولهذا فإن إيجاد تعريف جامع مانع له يعد من أكبر المشكلات التي تواجه علم اللغة اليوم، فالنص كائن زئبقي يصعب التحكم به فهو يتخذ معانيه تبعا لاتجاه الدارس والباحث، غير أننا سنحاول الوقوف على مفهوم النص في حدود ما يخدم هذه الدراسة .

يذهب أحد الباحثين إلى تعريف النص على أنه "فعل لغوي معقد يحاول الكاتب به أو المتكلم إنشاء علاقة تواصلية معينة مع السامع أو القارئ "[7]ويرتكز هذا المفهوم من وجهة نظر الدرس التداولي على الغاية العامة من النص، وهي تحقيق أغراض تواصلية التي يمكن أن يستعمل فيها النص أو استعمل فيها فعلا باختصار فهو يدرس الوظيفة التواصلية التي تؤديها النصوص، ولم يحصر النص في طابعه المكتوب كما هو شائع بل تضمن أيضا السامع أو القارئ مكتوب أو مسموع.

وأمام هذا التطور الذي عرفه مفهوم النص في الدراسات اللغوية، لم يقتصر اعتماد المقاربات النصية على النص في مجال الديداكتيك باعتباره بنية لغوية مكتوبة مكتملة الدلالة منسجمة ومتسقة العناصر فقط بل تجاوزته إلى الاعتماد على النص بعدِّه بنية لسانية مسموعة ومكتوبة من شأنها أن تؤدي بالمتعلم إلى اكتساب مهارات وكفايات متنوعة، وفي ضوء هذا التغيير يغدو إدراج أنواع مختلفة من النصوص في مقدمتها النص المسموع أكثر أهمية في ترسيخ

المعارف اللغوية، بعدِّه نموذجا هاما في تعليم العربية لما يصحبه من ظواهر صوتية وبصرية تسهم في اكتساب مهارات تتجاوز الكفاية النصية بمفهومها التقليدي إلى كفايات أخرى.

ويعد النص المسموع من أبرز أنواع النصوص، التي تسهم بشكل كبير في تنمية الكفاية الخطابية والكتابية وبناء الأثر المسموع، لا المكتوب خاصة أمام هيمنة المكتوب على مناهج تدريس اللغات، كما أن تعليم اللغة من خلال السماع ليس بدعا أو أمرا جديدا، فقد شاع عند العرب في القديم أهمية السماع والاستماع وضرورته في تعليم اللغة وتعلمها خاصة وأنه يشكل أبرز المهارات اللغوية التي تقوم عليها المهارات الأخرى إذ أن «إن الإنسان يسمع أكثر مما يقرأ أو يتكلم أو يكتب... وحاسة السمع لدى الإنسان ترتبط بتعلم الكلام ، وهي الحاسة المهمة لتطور المدركات العقلية والفكرية ونموها فضلا عن الحصول على المعلومات ولذلك إذا فقد الطفل السمع بعد ولادته مباشرة فقد معه القدرة على نطق الكلام»[8] وتتضح من خلال هذا العلاقة بين التلقي والإنتاج .

ويعرف الاستماع على أنه عملية معقدة لا تعني مجرد استقبال الصوت ووصوله إلى الأذن فقط، وإدراك وفهم واستيعاب ما يحمل من ألفاظ أو جمل فقط، لكنها عملية تستوجب أن يكون هناك توافقا عاما بين كل من المتكلم والمستمع[9]بحيث يبذل المستمع جهدا ذهنيا في فهم الكلام وتحليله ونقده واستخلاص المعلومات الواردة فيه بعد تحليلها، حتى يتحقق التواصل بين المستمع والمتكلم، مما يترتب عن ذلك الاتفاق أو الاختلاف حول الأمر الذي يحمله الكلام .

من هنا فإن النص المسموع يعد من أحدث المسالك التعليمية التي تنمي مهارات اللغة الأربع ويعرفه الباحث اللساني الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح بأنه«وحدة خطابية نص مسموع، مكتمل الدلالة متكامل الأطراف يكون محتواه خاضعا تماما لمقياس الانتقاء والتدريج وتقسيم الصعوبة.....ويتم إبلاغه بالمشافهة في إطار محسوس مناسب لمحتواه ليحصل إدراكه لما فيه من العناصر الجيدة من جميع جوانبه (الصوتية والبنيوية والدلالية) مباشرة وبدون واسطة لفظية (يسمع تسجيل منه مع القرائن المرئية)»[10] ويطرح الدكتور **عبد الرحمن الحاج صالح** من خلال هذا التعريف؛ شكلين اثنين للنص المسموع أحدهما يلقى شفهيا، بشكل عادي من قبل الأستاذ أو تسجيل صوتي، أما الثاني فهو يحتمل مفهوما لنص مسموع مصحوب بقرائن مرئية مقرونة باستخدام الوسائط.

2- خصائص النص المسموع

يتميز النص المسموع بمجموعة من الخصائص التي تميزه عن النص التعليمي المكتوب يمكن اختصارها فيما يلي:

2-1 الطابع الشفهي

يتميز النص المسموع بخاصية اللغة الشفهية، وما يصحبها من مميزات أبرزها "أنها تعتمد على الوسط الصوتي المتمثل في أعضاء النطق الأساسية التي ينتقل من خلالها الصوت، كموجات صوتية على شكل ذبذبات حتى يصل إلى الأذن، كما تتميز الألفاظ في هذه اللغة بالتتابع الزمني اللحظي الذي يقضي على حياة الكلمة لحظة الانتهاء من نطقها لتبدأ حياة جديدة في ذهن الملتقي[11] لاشك في أن الطابع الشفهي الصوتي لنّص المسّموع يعود بالنفع الكبير،خاصة إذا ما استثمر في ميدان ديداكتيكا اللغات فهو يعوِّد التلميذ على فهم المنطوق والتحرر من قيود المكتوب والتعرف على خصائص المنطوق، وتنمية مهارة الإصغاء والسماع دونما الرجوع إلى القراءة والمكتوب، وهذا يتطلب دربة وممارسة للإصغاء، وحفظ النطق السليم للكلمات، والتقاط السمات الصوتية المميزة لنطائق العربية، والوقوف على الأخطاء النطقية التي يقع فيها التلميذ؛ فيصححها بنفسه خصوصا في المراحل الأولى من التعليم من جهة، ومن جهة أخرى يعمل النص المسموع من خلال هذه الخاصية على تنمية الذاكرة السمعية للتلميذ؛ فترسخ في ذهنه الكلمات تماما مثل وقعها في أذنه، كما أن التتابع الخطي للكلمات والسريع الذي يرمي إلى انتهاءها لحظة النطق بها يجبر التلميذ على المتابعة وهي خاصية أيضا من خصائص النص المسموع .

2-2 الوظيفة الانتباهية

وتتشكل حينما يتم التركيز على طريقة الاتصال أو أداة الاتصال حسب مخطط يكبسون في احتكاك الباث بالمتلقي"وهي تتمثل في الحرص على إبقاء عملية التواصل مستمرة بين طرفي الاتصال، ومتابعة عملية الإبلاغ للتأكد من وصولها إلى هدفها، ولا يكتف في الوظيفة الانتباهية بأصوات وعبارات من قبيل(هاه، أ، نعم، لم أسمع....)[12] بل برفع شدة الصوت في بعض الكلمات والعبارات أحيانا، وخفضه أحيانا أخرى ويشير رفع الصوت عادة "باعتباره رابطا شفهيا

يرمي إلى شد الانتباه والتأكد من وصول الرسالة المهمة إلى الهدف، وإبلاغ كل من يصل إليه ذلك الصوت المرتفع وإبقائه في حالة متابعة.

ولا شك في أن هذه الخاصية ما يصبو إليها معلم اللغة من أجل لفت انتباه تلاميذه للمتابعة وخلق قابلية والإصغاء إذ أن التلميذ مجبر طوعا على المتابعة مع المعلم أثناء إلقاء النص المسموع وأي شرود أو تشويش يجعل من فهمه للنص وما سيأتي فهما مبتورا، وهي ميزة يفتقر إليها النص المكتوب،كما أن النص التعليمي المسموع يمكن التلميذ من بناء نص موازٍ بسهولة ويسر باعتبار أن النص الشفهي يفرض على مستعمله جملة من الاعتبارات تماما مثلما يفرض على متلقيه الانتباه والإصغاء والتفاعل، إذ أن مستعمل اللغة الشفهية أو المادة المسموعة مجبر على إثراء ما يقول،من خلال كيفية القول وإحداث الكلام بحيث يكون متاحا أمامه العديد من السبل التعليمية التوضيحية في الوقت ذاته فلا يقتصر المعلم هنا في إلقاء النص المسموع على ماهو مكتوب بل يلجأ إلى توضيحه من خلال نبرة الصوت والتنغيم والوقوف على أحوال الخطاب وأغراضه وكذلك ملامح الوجه التي تترك أثارا نفسية في المتعلم لاسيما حين يتعلق بأنواع أجناس خاصة مثل السرد وفروعه..

3- أثر النص المسموع في امتلاك الكفاية الخطابية (التداولية) والتواصلية :

تعد الكفاية الخطابية من أبرز الكفايات، التي تسعى مناهج اللغة العربية في مختلف الأطوار لترسيخها في التلميذ من وراء البرمجة الأدبية للنصوص في المناهج التربوية؛ غير أن تحقيق هذه الكفاية أصبح اليوم صعب المنال لاعتبارات ذاتية وموضوعية..

أما سلطة المكتوب واجترار الأحكام النقدية، كنتيجة لتحليلات والشروحات البلاغية المفروضة في تحليل المكتوب، حيث بات من الضروري تبعا لذلك، ابتداع مسالك جديدة تنهض بهذه الكفاية وبدرس اللغة العربية عموما. وإذا ما عدنا لمفهوم الكفاية التداولية نجد أنها القدرة على استخدام اللغة في سياقاتها الفعلية "فبينما يمكن أن ينظر إلى الكفاية اللغوية على أنها المعرفة المتطلبة لتركيب الجمل اللغوية صحيحة الصياغة، أو فهمها؛ فإن الكفاءة التخاطبية قد ينظر إليها على أنها المعرفة المتطلبة لتحديد ما تعنيه الجمل عندما نتكلم بها بطريقة ما وفي سياق معين والواقع أن القدرة على تحديد ما تعنيه الجمل هي إحدى نوعي القدرة المطلوبة على استخدام اللغة وهذا النوع يتصل بالمخاطب باعتباره مفسرا للكلام"[13] ويندرج تحت هذه الكفاية كل ما من

شأنه أن يعين على استخدام الجمل اللغوية وتأويلها تأويلا سليما يتوافق مع المساق الذي قيلت فيه؛ ولا غرو هنا أن تتناسب هذه الكفايات مع الأهداف والغايات من وراء تعليم اللغة واكتسابها من خلال النص المسموع الذي يشكل ميدانا امتراسيا خصبا لإكساب هذه الكفاية للتلميذ، خاصة وأنه يوفر للتلميذ السياقات الحقيقية للنصوص التي تساعده على تأويل المعنى تأويلا سليما ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

كما يحيط بالنص المسموع جملة من الملابسات والأحوال والظروف، التي تتكاثف جميعها للتأثير على الدلالة الحرفية للنص والتي تتمظهر أكثر للتلميذ؛ فيبلغه القصد وتحصل المنفعة وتمكنه من توظيف وتفعيل العمليات الذهنية العليا كالتحليل والتنسيق والاستنتاج والربط والاستحضار الذهني للأفكار التي تتصل بالمعاني في النص، وحتى النصوص التي تتقاطع مع النص المسموع الذي هو بصدد سماعه، فتتمثل أمامه المعاني وتتضح الرؤيا ويتمكن من التفريق بين الضمني والصريح والخفي والظاهر والمعاني المقصودة والخفية.

وتشمل هذه الملابسات الإشارات وملامح الوجه ونبرة الصوت وشدته وتعابيره، كما أن تجسيد الأستاذ لبعض الكلمات وتمثيلها، يعد أمرا هاما في توجيه فهم التلميذ للخطاب كإشارة في أسماء الإشارة، والتعجب في مواضع التعجب مع تغيير حركات الوجه أو الإشارة بالعينين اللتين لهما أهمية بالغة في اكتساب الكفاية التداولية، وتتجسد الكفاية الخطابية من خلال تعليمية النص المسموع في جميع مراحل التعليمية في عنصرين اثنين.

أولا :القدرة على التأويل (كفاية الإصغاء والتلقي)

إن قدرة التلميذ على فهم النص المسموع وتحليله سماعا يعوّده على القدرة لتأويل الكلام بشكل سريع، تأويلا سليما كأن يفهم المطلوب منه والخطابات الموجهة إليه من خلال تجاوز المؤشرات اللغوية (المعنى الظاهري للخطاب) من خلال ربطها بتقديم وعرض الأستاذ، وما يصحب الإلقاء من ملابسات وربطها بالسياقات والمقامات التي وردت فيها، بعبارة أخرى فإن النص المسموع سينمي في التلميذ القدرة على التنسيق والربط بين المؤشرات اللغوية الواردة في النص المسموع، ومعرفته السابقة بالعالم فيستحضرها أثناء سمعه يربطها ومجمل المقامات والسياقات، وظروف الخطاب وحال المخاطب –صاحب النص الأصلي –كما يضاف إلى ما سبق قدرته على قراءة ملامح الوجه والسياقات اللغوية وغير اللغوية وإسقاطها على الخطاب .

إن استماع التلميذ للنص –بشكله المسموع– يعوده على تفعيل حواسه الأخرى والتفكير في ظروف يكون فيها مجبرا على المتابعة وإتمام الكلام المحذوف بنفسه كما يتمكن من استثمار وتوظيف ما يمكن تسميته بالمهارات البلاغية والخطابية لفهم النص المسموع يبدو ذلك من خلال[14]:

- ✓ تخمين معاني الكلمات تبعا للسياقات الواردة فيها
- ✓ استخلاص العلاقات (مثل السبب والنتيجة ..الخ)
- ✓ إدراك وظائف النبر والتنغيم في دلالتهما على المعلومات (مثل طبقة الصوت، ودرجة ارتفاعه، طول الوقفات....الخ
- ✓ استنباط المعلومات المحورية من نصوص طويلة شفوية دون فهم كل كلمة فيها.
- ✓ إصدار الحكم على ما في النص المسموع بعد فهم الموضوع تحليل المنطوق والتعرف على المضمون البلاغي والوظيفي للنص المسموع أو جزء منه.

ثانيا:الاستعمال (المعاودة الإنتاجية)

تتمظهر الكفاية الخطابية من خلال النص المسموع في قدرة المتعلم على بناء خطابات موازية للخطابات المسموعة بأسلوبه الخاص بحسب فهمه وتحليله "باعتبار المخاطب صاحب الدور المكمل لعملية التخاطب بل إن دوره ربما لا يقتصر على عملية التأويل بل يتجاوز ذلك إلى أن صبغ الخطاب بصيغة خاصة قد تؤدي إلى تشكيله من جديد وفقا لأقوال المخاطب الذاتية"[15].

إن الغاية الأساس وراء استثمار النص المسموع من وجهة نظر تداولية في تعليمية اللغات لا تتوقف على قدرة التلميذ على فهم الخطابات وتأويلها تأويلا سليما فقط؛ بل العمل على تفعيل قدرته على المعاودة الإنتاجية وإثارته، من أجل النسج على منوال هذه الخطابات ومعرفة المواضع التي يحسن فيها تضمين خطاباته والتعبير عنها بشكل ضمني والمواضع التي تستوجب التصريح من أجل الإقناع والتأثير في الآخر وهو ما يفتح له المجال للإبداع والتميز .

وعادة ما تتبدى قدرة المتعلم التداولية في مقدرته على المعاودة الإنتاجية لنص المسموع وتحليله وفهمه، واستخدام الإشارات بطريقة سليمة وتجاوز التكرار والمعرفة الحسية بالعالم فقط بل من خلال هذه الميزة يتمكن ليس فقط التعبير عن الأشياء المحسوسة بل قد يتجاوزها لتعبير عن

الأشياء المجردة والضمنية، وربما يفتح له المجال لتعبير عن خياله أيضا كما تنمي قدرته على الإحالة اللفظية والمعنوية عن الأشياء في خطاباته وتفعل معرفته بالعالم أثناء الحديث وإنشاء الخطاب .

ومن هنا يحتمل مفهوم "إعادة الكتابة" (la réécriture) أو الإنتاج النصي المكتوب أو الشفاهي من منظور تداولي كل صنوف التقييدات الأولية للمتعلم الكاتب من خربشات وهوامش ومسوّدات حوافّ حين تحوّل إلى متن ونصّ منظّم مؤلّف وأنشطة التلخيص والتعليق والإثراء والنشر والتوسّع والمحاكاة والأسلبة المباشرة وغير المباشرة والحذف والاجتزاء والنصّ على النصّ وتحويل المنظوم إلى منثور والمرئيّ والمسموع إلى ملفوظ فمكتوب[16] .

وعلى إثر هذا أصبح من الضروري، التعويل على بناء الذاكرة الخطابية للتلميذ، بالموازاة مع الذاكرة النصية، والعمل على تجاوز وضعيات القراءة إلى وضعيات الإصغاء وانتقال من النص المكتوب المشروح إلى المحاورة والاستماع والمناقشة، وتجاوز الاعتماد على النص المكتوب العقيم المعتمد على الشرح والإفهام، دون تفعيل دور المتعلم في عملية بناء النص الجديد، أين يجد المعلم نفسه واقعا في فخ التلقين النمطي والأحكام النقدية الجاهزة والتعليم حفظا لا فهما؛ ذلك أن تعليم اللغة كمادة تستوجب الحفظ والتلقين لا المشاركة والاستعمال ،كما بات من الضروري أيضا الاستعاضة عن التعرّف؛ بالتشخيص والاستكشاف الذي يعوّل على الذّاكرة النصية للمتعلّم وعلى وضعيات الكتابة وتعويله على الذّاكرة الخطابية والمدوّنة المشروحة استذكارا وتمثيلا وتخطيطا ذهنيا ومحاورة تتمثّل الخطاطات والنماذج النصيّة المسموعة الصّغرى والكبرى دون الانزلاق بداهة إلى منشط كتابي عقيم.[17]

الخاتمة:

ونخلص في ختام هذا البحث إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي :

- ✓ أن استثمار النص المسموع من وجهة نظر تداولية، في تعليم اللغات هو من أبرز ما تدعو إليه اليوم المقاربات والنظريات التعليمية.
- ✓ السعي إلى استثمار حصة النص الأدبي أو القراءة كنشاط فعال يمكن التلميذ من الإنتاج ويخلص الأستاذ من براثن النص المكتوب والشروحات البلاغية.

- ✓ تمكين التلميذ من تحويل هذه المفهومات أو الشروحات إلى نص شفوي أو مكتوب، والانتقال إلى تعلم اللغة في جانبها الاستعمالي لا في جانبها النمطي المكتوب .
- ✓ التركيز على تعليم التلميذ النظم الافتراضية داخل النموذج المكتوب المثال وتفعيل كفايات التلميذ من أجل الوصول إلى المعنى وبنائه.

هوامش:

[1] – ينظر آن روبول وجاك موشلار التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر تر،دعفوس سيف الدين السياحي، محمد بيروت لبنان ، تموز، يوليو2003، ص. 29.

[2] – ينظر أساليب ومبادئ في تدريس اللغات،ديان لارسن فريمان،ترجمة عائشة موسى سعيد ، مطابع جامع الملك سعود ، الرياض ،1995،ص139.

[3] – الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ديوان المطبوعات الجامعية دط، تر: يحياتين محمد ، بن عكنون ،دت ص 43.

[4] فرنسواز أرمنكو مقاربة التداولية، مركز الإنماء القومي د–ط ترجمة سعيد علوش الرباط 1986 ص: 07.

[5] – الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها ص: 46.

[6] – في تعريف النص اللغوي جاء في لسان العرب لابن المنظور" النص:رفّعك الشيء نص الحديث ينصه وكل ما أظهر فقد نصّ، وقال عمرو بن دينار :ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند، ويقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه ...ونصت الظبية جيدها رفعته ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليه العروس لترى.... ونص المتاع نصا جعل بعضه على بعض....وأصل النص أقصى الشيء وغايته....ونصّ الرجل نصا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده....وامتص الشيء وانتصب إذا أستوي واستقام "ينظر:ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ط4(بيروت، دار صادر،3 ،1999، مادة (نصنص).

–[7]كلاوس برينكر:التحليل اللغوي للنص– مدخل إلى المفاهيم الأساسية للمناهج، تر: دكتور سعيد حسن البحيري، ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة 2015 ص: 25.

[8]– مهارات في اللغة والتفكير، عبد الهادي نبيل وآخرون ، دار المسيرة ، عمان ، 2003 ، ص 156.

[9]– ينظر زين الدين كامل الخويسكي:المهارات اللغوية ،دار المعرفة الجامعية ، دط، جمهورية مصر العربية 2016 ، ص: 28 وما بعدها .

[10] – عبد الرحمن الحاج صالح أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية مجلة اللسانيات،الجزائر، العدد 4 ص 72 هامش ص2.

[11] – ينظر:جمعان عبد الكريم إشكالات النص – دراسة لسانية نصية –النادي الأدبي بالرياض ط1 2009 ص:102، 103.

[12] ينظر:عبد السلام المسدي العربية والإعراب، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003،ص:247.

[13] ينظر :محمد محمد يونس علي : المعنى وظلال المعنى : أنظمة الدلالة العربية ، دار المدار الإسلامي ، ط2 بيروت لبنان ، 2007، 149.

[14] ينظر زين الدين كامل الخويسكي:المهارات اللغوية ص: 38 وما بعدها .

[15] محمد محمد يونس علي : المعنى وظلال المعنى : أنظمة الدلالة العربية ص: 156.

[16] ينظر الموقعhttp://www.education-tunisie.com/threads/10993 حصص الإنتاج الكتابي من مفهوم الكتابة إلى الإنتاج المعاد مقال لسلوى العباسي منشور في موقع بحوث تربوية وبيداغوجية 30 ديسمبر 2017 اطلع عليه يوم 2018/4/1.

[17] – المرجع نفسه.